متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثل ولا تقدر على مثل ما
يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد
الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو
الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر
بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون
اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول
والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك
به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق
الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل
بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى
النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا • وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام
وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء
من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف
ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه عليه السلام وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما
فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة و
اضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا عليه السلام
وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة
من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في
المجد ليس غرابها بمطار • لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر
والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع
ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة

مستقلة

لكل آية ظهر وبطن
ولكل حد مطلع

مستقلة بنفسها فيعظم ذلك عنده ويبتهج به الى غير ذلك من الفوائد • من مثله صفة سورة اي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة
للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه
بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه
المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا
ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم
ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان
صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه
سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه
قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من
الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك
ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل
تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي
اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من
حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتي بمثله الا الله او ادعوا
من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد
لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها
وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم
وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به
مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين
انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد
المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به

اي النبي عليه السلام

Copyright © King Saud University